

تعتة الوفد:

قالوا "إيش" خاطر الأحزاب؟! قالوا سياسة بحق وحقيق!!

بعد تصريحات السيد صفوت الشريف الطيبة، ونقده البناء للممارسة الحزبية في بر مصر، يبدو أنه على الأحزاب (باستثناء الحزب الوطني، فما زلت أنكر وجوده كحزب، برغم تصحيح الأستاذ أبو سيف يوسف لي، أنظر بعد)، أقول: على جميع الأحزاب (23 حزبا تقريبا)، أن تستوعب هذا النقد، فتعدل مسارها وتحسن أداها، وتهم همة رجل واحد، وهات يا سياسة، بشكل أكثر جدية ومسئولية، لتساهم من موقعها (لست أدري أين؟) في إصلاح ما فسد جدا، ودفع الأمة إلى إتمام المهمة (الغير واضحة تماما).

هذا هو غاية ما فهمته من تصريحات السيد صفوت الشريف، باعتبار أنه : لكي يكون الحزب حزبا، لا بد أن يكون له حضور فعلى بين الناس، في المصانع، والحقول، والمدارس والجامعات والنوادي، وكافة تجمعات فئات الشعب العاملة والخاملة، يتكاتفون لإحياء نبض العمل السياسي من أول وجديد"، (وكلام كبير آخر)، إلا أن داخلي الخبيث، سمح لبعض الأمثال الشعبية أن ترد عليه رغما عني، فنهرتها نهرا شديدا، فأثبت، فأزحتها إلى نهاية المقال، وكنت منذ فترة قصيرة قد عدلت عن الاستشهاد بالأمثال الشعبية العريقة، اقتناعا مني بما وصلني من تنبيهه الصلاحيين: صلاح عبد الصبور، وصلاح جاهين. أما عبد الصبور فقد نبهني في مسرحيته "ليلي والجنون" من خلال المقطع الذي يقول فيه: **يأتي من بعدي من يعطي الالفاظ معانيها، يأتي من بعدي من لا يتحدث بالامثال**، أما جاهين فقد نبهني بقول مأثور عنه (ليس شعرا) أنه: **"إفعل أى شيء تقرره، وستجد مثلا يبره"**، عدلت عن الرد بالأمثال في بداية المقال وأزحتها أختم بها، لكن العنوان أبي أن يتغير.

ثم اقتحمتني ذاكرتي هذه المرة تذكرني أنني كتبت أعارض المعارضة ربما في نفس اتجاه السيد الشريف، فرحت أبحث عن مقال قديم لي حتى وجدته، (الأهالي 11 أغسطس سنة 1982) بعنوان **"معارضة المعارضة، ضرورة حيوية"**، ووجدت أنه من المناسب أن أقتطف بعض ما جاء فيه منذ أكثر من ربع قرن، لعله يخفف من وقع ما جاءني من أمثالنا العامية.

وفيما يلي بعض المقتطفات (مضافا إليها - أحيانا - تعليق محدود في كلمات بين قوسين)

مقتطفات من قبل ربع قرن:

"... يحاول هذا المقال أن يجيب على سؤال يقول: **هذه المعارضة، تعارض من؟ ثم: ومن يعارضها؟**

1- هي تُوَاجِه إعلانات رسمية في الصحف القومية أساسا في شكل مقالات أو تحقيقات تصدر من **السلطة أو بوحى السلطة أو بحسابات اتجاهات ربح السلطة**. إذن هي لا تواجه ناسا "الناحية الثانية"، بل تواجه كلاما مكتوبا من قبل الحكومة دون ناس

2- هي تواجه 'اقوى' سلطوية حقيقية تتمثل أساسا في البوليس والجيش..... "ومواجهة "الناس" بالنار أو "بالقرار الجازم" قد ترجح كفة من بيده القوة مؤقتا، ولكنها لا تصنع فكرا أوناسا أو تطويرا أو شارعا سياسيا مشاركا (لا توجد مباراة بين الحكم وفريق واحد !!!)

3- إذا كانت الديمقراطية تعني 'الرأي والرأي الآخر' فاني لا أكاد أتبين فيما جرى إلا "الرأي الآخر .. دون الرأي" (وبالعكس)، فلعل حقيقة المواجهة الجارية تجرى بين "الرأي" (المعارضة) .. **والفعل الآخر "أو بين "الرأي" والسيف الآخر " أو بين "الرأي" .. والوعد الآخر " أو بين "الرأي" .. والأمر الآخر' ..** "الرأي" تبديه المعارضة، (أما) **السيف، والوعد، والأمر** (فكلها) بيد الآخر .. إلخ

في الأسبوع التالي مباشرة قام بالرد على مقال هذا المرحوم أبو سيف يوسف بموضعية وعلم ورحابة صدر، في الأهالي أيضا (18 أغسطس 1982) بعنوان: **"نرحب بمعارضة المعارضة .. وهذا ردنا"**، وقد استفدت منه ما استطعت، من قوله مثلا: " ويسمح لنا د. الرخاوي بأن نختلف معه حول مقولة أن "التجمع" يعارض أو يصارع شبحا اسمه الحزب الحاكم، ومصدر الخلاف هو أن أدبيات السياسة قد استقرت منذ زمن طويل على... .. أن الحزب هو جماعة من الناس تنظم نفسها بهدف ادارة سياسات الحكومة، وفي بلادنا يتولى السلطة مجموعة يضمها تنظيم اسمه الحزب الوطني الديمقراطي تدير الحكومة وتصدر عن طريق نوابها التشريعات التي تضمن - في خاتمة المطاف - تحقيق أكبر فائدة للطبقة أو للشريحة الاجتماعية ..." إلخ،

وبرغم وضوح هذا التعريف العلمي، واقتناعي الشديد بموضوعيته، فأنا ما زلت بليدا في السياسة، فأتصور - بالعافية - أن الحزب الحقيقي، لا يكون حزبا إلا إذا خرج من الناس، ليمثل الناس، وما زلت أرى أن الحزب الوطني ليس إلا تجمع قهري هو أحد وجهي السلطة، لا أكثر: الحكومة وجهه، و الحزب الوجه الآخر، (أين الناس؟)، ومع ذلك، فالمرحوم أبو سيف هو الأصح.

الأمثال العامية ترد على السيد صفوت الشريف، مستقلة عني، فأقوم بتحديث سياسي محدود:

المثل الأول : إيش خاطر الاعمى؟! قال قُفَّة عيون

التحديث السياسي : **إيش خاطر الأحزاب، قالوا سياسة بحق وحقيق**

المثل الثاني: قالوا يلعن أبوك اللي مات ماجوع، قال : هوا لقي أكل ولا كلشي

التحديث السياسى: قال جاتكوا خيبة فى أحزابكو اللى حاتموت من قلة السياسة، قالوا: هوا حنا لقينا سياسة وما اشتغلناش؟

المثل الثالث: تقول الحماة لزوجة ابنها وهى تعزم عليها بالخبز الجاف "صجيح ما تيكسرى، ومكسوز ما تاكلى، وكلى يا ضنايا لما تشبعى"

التحديث السياسى: يقول السيد صفوت الشريف لرجال الأحزاب "على كرسى الحكم إياك تقرب، وانتخابات حرة بعيدة عن شنبك، ومارس السياسة على كيف كيفك" وبالشعر العربى الفصيح:

ألقاه فى اليمم مكتوفا وقال له : إياك إياك أن تبتل بالماء